النفائس العصرية

مجلة فكاهية ادبية

لمنشئها

خليل بيدس

١٥ و٢ نيسان سنة ١٩٠٩

الطباعة

(تابع لما قبل)

وكانت هذه الضربة اعظم مما يقوى غوتنبرغ عَلَى احتماله · ولا عجب اذا اشتدَّ عليه ذلك فقد حُرم عمله وتعبه الذي بذل في سبيله كل الحياة · وقد صار الان رجلاً مسناً (في سن الستين تقريباً) والذي زاد في حزنه وهمه انه خاف ان يقعده الهرم عن استئناف العمل فتذهب جميع امانيه وآماله ادراج الرياح · غير انه لم يدع القنوط يتولاه بل صبر على محن الدهر و بلاياه معللاً نفسه بالعود عَلَى ذلك البدء · ولم تمض مدة طويلة حتى استتب له الفوز بما منّى

نفسهُ وذلك انه اشترك مع احد اغنياء مينز وعاود العمل بنشاط اوفر ولكنه سار هذه المرة بمنتهى التحذر فلم يعلن اسمه علَى الكتب التي كان يطبعها حتى ان المطبعة نفسها انشاها باسم غيره · وعلَى هذه الصورة نرى هذا المخترع العظيم لاحتياجه الى بضع مئات من الغولدنات يخفي اسمه مع علمه بانه ربما بسبب ذلك يبقى مهملاً منسياً محروماً شرف نسبة اختراع هذا الفن العظيم اليه

بيد ان الاقبال لم يوالِ رفيقي غوتنبرغ الى النهاية بل عاكسهما بعض الشيء وخدم غوتنبرغ في غروب حياته · وذلك ان حنا فوست كتاجر ماهر لم يلبث ان اغتنى من تجارة الكتب · فكان يتاجر بها في اكثر الاصقاع المجاورة وقد ذهب اخيراً للغرض عينه الى باريش فاعترضه هنا رجال الاكليروس واتهموه بالسحر والشعوذة وقالوا ان مشروعه هذا مضر بالدين · وسبب ذلك ان هولاء كانوا كما قدمنا سابقاً ينسخون التوراة وغيرها من الكتب ويربحون من وراء ذلك المبالغ الطائلة · وبناءً عليه فقد ساءهم مشروع الطباعة هذا لانهم رأوا فيه ضربة قاضية علَى كثير من موارد ربحهم فطعنوا فيه وقالوا انه من اعمال الشيطان ··· ومن جراء وشاياتهم القي القبض علَى فوست وزج في السجن حيث قضى نحبه · فاستقل شوفر وحده بالمطبعة وقد كثر عماله واتسعت اشغاله ونمت ايرادات المطبعة كثيراً · غير انه حدثت في تلك الاونة حرب

غيرت كثيراً من الاحوال . وذلك ان الدوق ادولف ناساوس زحف على مينز واستولى عليها عنوة فحمل شوفر وصنّاعه ادوات مطبعتهم وفرّوا بها من المدينة يلتمسون العمل في بلاد اخرى . ولم تلبث تلك الصناعة ان انتشرت بواسطتهم في الانحاء المجاورة . اما غوتنبرغ فبقي في المدينة وقد شاهده الدوق وقابله بمنتهى البشاشة والارتياح وامر ان لا تُمس مطبعته باذى وعينه حاجباً خاصاً له . غير ان غوتنبرغ كان وقتئذٍ قد نهكته الاتعاب ومشاق الحياة ولم يمض عليه بعد ذلك سوى ثلاث سنوات حتى قضى نحبه وكان ذلك سنة ١٤٦٨ فدفن في مينز في مقبرة احد الاديرة الدومينيكية ولا يعرف الان بالتحقيق مكان قبره

غير ان عمله العظيم لم يحتجب معه في القبر بل انتشر بعده ونما نمواً عجيباً . وكانت شمس العلوم والفنون قد اشرقت منذ زمان طويل في بلاد ايطاليا وذلك ما دعا الى سرعة انتشار فن الطباعة فيها ومنها الى سائر الجهات . ففي مدة ثلاثين سنة (١٤٧٠ — ١٥٠٠) طبع في كل اوربا عشرة الاف كتاب بين كبير وصغير نصفها طبع في ايطاليا وحدها والباقي في سائر انحاء اوربا . وفي خلال ست وثلاثين سنة بعد ذلك (١٥٠٠ — ١٥٣٦) طبع في اوربا نحو سبعة عشر مليوناً ونصف من النسخ . فاصبح العلم على هذه الصورة ميسوراً لجميع طبقات المجتمع الانساني وانتشرت بذلك الفنون

والصنائع وعمت المعارف والعلوم وارتقت شؤون الناس و بعد ان كان الكتاب بين ايدي الرهبان واعاظم هذا العالم صار الى ايدي الطبقة المتوسطة ثم الى ايدي العامة وطفق الجميع يتخلصون الشيء بعد الشيء من ربقة سلطان الجهالة والظلام

وكانت الحياة العقلية منتشرة في ذلك العهد في سائر انحاء اوربا الغربية والطباعة زاهية على الاخص في كل مكان نفخت فيه روح العلم والعمران · ففي سنة ١٤٦٤ تحولت الطباعة من جرمانيا الى ايطاليا ولم تدخل سنة ١٥٠٠ حتى طافت كل اوربا الغربية اما في بلاد الروس فلم تظهر الا بعد ذلك بزمن طويل فان اول كتاب ظهر مطبوعاً في تلك البلاد هو « الرسائل » وقد طبع في موسكو سنة ١٥٦٤ اي بعد ان فرغ غوتنبرغ من طبع توراته بمئة وتسع سنين وفي سنة ١٦٦٣ طبع في موسكو ايضاً اول توراة كاملة وذلك في عهد الملك الكسي ميخايلوفتش

(ستأتي البقية)

ظلموك

زارني الارق في احدى الليالي لا اعاده الله فأحرم جفني الكرى وأفقد جسمي لذة الوسن · تقلبتُ على سريري ذات اليمين

وذات اليسار وبلا جدوى حاولت ان أنام واستريح من هذا الضيف غير المحتشم . تركت فراشي وقمت الى نافذة غرفتي ففتحتها ونظرت منها الى الشارع وكان الليل قد انتصف فراعني ما رأيت من سكون الطبيعة العميق وهدوءها الرهيب . اجلت نظري في ذاك الممرّ فلم أرَ صادراً ولا وارداً ولم اسمع الاَّ عبور النسيم وحفيف الاشجار . شخصتُ ببصري الى السماء فرأيت الجوّ عابساً والسحاب الاسود متلبداً في جوفه والبدر محجوباً والنجوم مقنعة . وهكذا مرَّ بي زمن ليس بقصير وانا ادير الطرف من ناحية الى اخرى وضيفي الثقيل ملازمٌ لي حتى ضاق صدري من هذه الحالة واعياني تعب الوقوف فجلستُ علَى مقعد في الغرفة والقيت برأسي بين راحتيَّ وجعلت اتأمل في الكون وما يقع فيه كل يوم من المصائب والحوادث المختلفة منها ما تتفتت له الاكباد حزناً وحسرةً ومنها ما يضحك الثكلى ويبكي العروس في شهر العسل . وانا بين متأمل في مثل هذه الحوادث والحقائق الجديرة بالصبر وبين سارح في عالم الخيال وقد راق لي الاخير فسرت معه حيث دخل بي في بستان غاص بالاشجار المتنوعة والازهار المختلفة الالوان والاشكال تجري بينها المياه متعرجة فيسمع لها خرير لطيف والطيور تغرّد فوق تلك الاشجار باصوات رخيمة تمحو عن القلب الشجن . وكان البستان محتشداً بالمتنزهين من رجال ونسوة وشبان وفتيات

واطفال فتجولت فيه منفرداً احيي هذا وارد التحية على تلك واتبعت السير وانا في حالتي هذه حتى وصلت مكاناً فيه أصبحتُ وحيداً٠ وبينا انا واقف هناك مرتاحاً في عزلتي اذ بي ارى عَلَى مقربة مني شبحاً يحوم تحت شجرة كبيرة مشتبكة الاوراق والاغصان فدفعني حب الاستكشاف نحو ذاك الشبح وما كدت اسير بضع خطوات حتى رأيت امامي فتاة تناهز السبعة عشر ربيعاً هيفاء القد نحيفة القوام ذات خصر ناحل وعينين سوداوين وشعر حالك السواد ووجه ناصع البياض رائع الجمال وقد زين خديها ورد الصبا وهي حائمة في ظل تلك الشجرة كانها غصن حركه الصبا٠ فحييتها تحية الادب والاحترام وقابلتني هي بمثل تحيتي ولكنها رشقتني بنظرة شفت عن امرٍ يشغلها وشكوى لاتدري لمن تبديها٠ فقلت في نفسي لا بدّ لي ان اقف عَلَى حقيقة حال هذه الفتاة فان ظواهرها توحي بانها تكنّ امراً ذا بال٠ فدنوت منها وقلت لها — اتسمحين لي ايتها الحسناء ان اسألك لماذا تركتِ القوم في الهرج والمرج واختليت بنفسك في ظل هذه الشجرة ؟ فقالت — دعني بربك من هذا السوءال فانه يجرح قلبي بل يخترق كل جوارحي وكفى به انه يعيد اليّ ذكرى بلوتي وشقاوتي٠ قلت — لقد زدتني شوقاً الى الاستطلاع ايتها الجميلة فتكلمي بالله تكلمي عساني اقدر ان اساعدك وأقيكِ شر الشقاء الذي تزعمين انكِ فيه٠ قالت — اما قصتي

فسأسردها لك ولكن مساعدتك لن تجديني نفعاً او تفرج لي كرباً اذ قد قُضي الامر · قلت — واي امر تعنين ؟ قالت — اخالك مررت بجميع المتنزهين وشاهدت تلك الجماعة الجالسة حول بركة الماء في شرقي هذا البستان · قلت — نعم وهم مختلطون بين رجال ونساء وظواهر اصغرهم تنبىء بانه لا يقلّ عن الاربعين سنة · قالت — اولئك هم سبب بلائي وحزني وغمي فقد تمادوا عَلَى زهرة شبابي في اول طلعتها فاذبلوها لابل خنقوها · قلت — وكيف ذلك ؟ قالت وقد جاشت في صدرها الغصص وخنقتها العبرات لسخينة وتنهدت عن حزن واسى — اسمع ··· ولم تتمّ كلامها · قلت — كفكفي الدمع بحق صباكِ وابسطي لي ما بدالكِ وما اعتراكِ · فأخذت منديلاً ومسحت دموعها التي زادتها رونقاً وجمالاً وقالت — هاك حكايتي فانشرها عَلَى روءوس الملا لعلها تكون تنبيهاً لبنات جنسي وانذاراً وعبرة للوالدين وتفقهة للشيوخ الذين أَحنت الايام ظهورهم واشتعلت بالشيب روءوسهم الذين يطلبون يد الصبية ولا يبتغون الا من كانت في شرخ الصبا ونضارة الشباب بين الخمس عشرة والعشرين سنة مثلي · فانني منذ عهد قريب كنتُ ابسم للايام ابتسامة ملوءها الآمال والاماني وأَبني القصور العالية زاعمة ان هذا الغصن الشديد سيجد يوماً ما فرعاً مثله قوياً فيتحدان و يصبحان اصلاً واحداً و يتدرجان مع الايام يستقبلان

خيرات الدنيا بالشكر والسرور ويقاومان مصائبها وطوارئها بالجد والجلد. ولكن وا اسفاه فقد انعكست الآية واصبحت تلك الآمال والاماني والقصور العالية حفراً واودية عميقة. فان الغصن الذي كان يتوقع فرعاً نشيطاً رمته الايام علَى جزع هرم لا حول فيه ولا قوة. قلت — لعل هذه علتك وذاك نصيبك مِن حياتك. قالت — نعم فتباً له من حظ وتعساً لها من حياة . فانا التي امامك ذاك الغصن الذي كان يترقب الفرع ولكن قد خاب المسعى وضاع الامل لاني لنكد طالعي قد اصبحت امرأة شيخ خطا السبعين حولاً ووالدي الظالم لمآرب خصوصية ربط في عنقي هذا الحجر الثقيل واورثني الهم والشقاء وقدمني ذبيحة مآربه وضحية غاياته . قلت — وهل تمَّ هذا الاتفاق وانت لا تدرين ؟ قالت — نعم قد تمَّ بين والد قاسٍ وشيخ غافل وجماعة نزع الله من قلوبهم الرأفة والرحمة على فتاة صغيرة ضعيفة. قلت — اذاً لم يسألك احد في هذا الشان المتعلق بك وحدكِ ولا أُخذ رأيكِ ولا رُوعيت ارادتكِ فيه. قالت — انى لي ذلك وقد قُضي علَى فتاة الشرق ان تكون مضغوطة الفكر مسلوبة الارادة مهملة للغاية فان البون ايها الشاب لا يزال بيننا وبين الدرجة التي يجب ان نصل اليها شاسعاً لاننا لم نستوفِ بعد حقنا من التعليم الصحيح الذي يوسع حلقة عقولنا ويرينا الامور علَى علاتها ويساعدنا علَى التصريح بافكارنا والمدافعة عن حقوقنا بالحجة والبرهان ولو ادرك الناس تأثيرنا في الهيئة الاجتماعية واننا مصدر تقدم

الامة ورقيها لعاملونا بعكس ما يعاملونا به الان ويا ليتهم يقدّرون القول العظيم الذي فاه به نابوليون العظيم «ان التي تهز السرير بيمينها تهز الارض بيسارها» لبذلوا في سبيل تعليمنا وتربيتنا كل مرتخص وغال٠٠ ثم رجعت الى تتمة حكايتها فقالت — وكان استغرابي من اقدام ذاك الشيخ عَلَى الاقتران بصبية بسني لا اعظم منه من والدي في تساهله بالامر والسماح له بهذه (الساعة الرخيصة)٠ وماذا ينتظر ابن السبعين عاماً من ابنة سبع عشرة سنة؟ افينتظر صبابة وهياماً؟ قلت — حقاً لقد ظلموكِ وظلموا الجمال وكل لطف فيكِ ولست انكر ان المصيبة عظمى والخطب جسيم ولكن قد سبق السيف العذل٠ فانت فتاة الامس لكنك امراة اليوم ولكل دور من الحياة طور وقد اصبحتِ زوجة لرجل يعيش لك وانتِ تعيشين له سواء كان شاباً او شيخاً غنياً او فقيراً رفيعاً او وضيعاً ولا يزيدك جمالاً وكمالاً الا محافظتك على حقوق الزوجية واحترامك ومحبتك لشيخك الجليل وصيانتك لهيكلك الجميل من ان يخدش او يشان وكل يجني ما قد غرست يداه٠ قالت — اشكرك ايها الشاب اللطيف فاني قد وجدت في قولك تعزية عظمى وعظة كبرى وارجوك ان تشرفنا في منزلنا نمرة ٦١ في الشارع الشرقي واسمي سلمى فناخذ لنا موضوعاً غير موضوعي ونبحث فيه٠ قلت لا اتأخر عن ذلك ايتها السيدة متى سمح الوقت وساعدت الظروف ثُم ودعتها وانصرفتُ لشاني

جميل لحام

امثال وحكم

(امثال انكليزية)

لايقوم خصام الاَّ بين اثنين فاكثر . ما كل ما يلمع ذهب (ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة)

كن بطيئاً في الوعد وسريعاً في الوفاء (قال الشاعر :

لا تقولنَّ اذا ما لم ترد ان تتم الوعد في شيء نعم
ان لا بعد نعم فاحشة فبلا فابدأ اذا خفت الندم)

اعمل الواجب وليحدث مهما حدث . كن احد افراد زمرة جيدة . زلة القدم أسلم من زلّة اللسان (قال الشاعر :

يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجلِ

(ومثله

جراحات السنان لها التئامٌ ولا يلتام ما جرح اللسان)

املك دلبعك لئلاّ يملكك . الكذب اردأ صفة في المستخدم . الاثمار هي الاعمال وما الاقوال سوى اوراق . للاوعية الفارغة صوت جهير (ليس من كل الاصوات تجب الهيبة فلعلّ افشل الاشياء اجهرها صوتاً واعظمها جثة)

الفقير الحقيقي من لا يقنع بما عنده (ليس في العالم افقر من الرجل الطماع)

اعظم منتصر من يتغلّب على نفسه ٠ العمل الجيد خير من القول المنمّق (قال الشاعر :

العنز لا يسمن الا بالعلف　　لا يسمن العنز بقولٍ ذي لطف)

الشعب الكسلان هو الاكثر تأخراً وانحطاطاً ٠ الوقت المفقود لا يعود (قال الشاعر :

اذا مرّ بي يومٌ ولم استفد يداً
ولم اكتسب علماً فما ذاك من عمري

الخطر الصغير يزول باعتناء قليل ٠ عد قليلاً وافعل كثيراً ٠

ازرع جيداً تحصد كثيراً (المرء يجني ما غرس و يحصد ما زرع وقال الشاعر :

من يزرع الخير يحصد ما يُسرُّ به
وزارع الشرّ منكوسٌ عَلَى الراس)

انظر الى الامام قبل ان تقفز (قال الشاعر

قدّر لرجلك قبل الخطو موضعها　　فمن علا زلقاً عن غرّة زلجا)

العامل السيء الطباع يخاصم ادواته (يحارب ذباب وجهه) ٠

اذا تضافرت الايدي سهل العمل ٠ ما دام الكيس مملوءاً فالاصدقاء كثيرون (قال الشاعر

ان قلّ مالي فلا خلٌّ يصاحبني　　او زاد مالي فكلُّ الناس خلاّني)

(وقال آخر :

صديقك حين تستغني كثير   ومالك عند فقرك من صديق)

اذا لم يكن الامر صواباً فهو خطأ (ان الفساد ضده الصلاح)

الكسل يولد الفقر . للعجلات الرديئة صوت وقرقعة ليسا لغيرها . الافضل لك ان تبقى وحيداً من ان تكون بين زمرة شريرة . من يحاول ان يقبض كثيراً ينل قليلاً . من يكثر الولائم الى ان يمرض يجب ان يصوم الى ان يبرأ (رب اكلة تمنع اكلات) . من كان يسافر على اقدامه جيداً فهو يملك جواداً قوياً . اذا كنت ترغب بالثمر يجب ان تتعلم التسلق على الشجر . من كان بلا فكر يعمر كثيراً (ما لذة العيش الا للمجانين . وقال الشاعر :

افاضل الناس اغراض لدى الزمن   يخلو من الهم اخلاهم من الفطن)

درهم فضيلة يساوي اقة من الذكاء . اطول طريق — طريق الصلح والسلام . اغلب الناس مستعبدون لانهم لا يقدرون ان يقولوا احياناً «لا»

(امثال وحكم يونانية)

التقوى رأس الفضائل . ان البعض كثيراً ما يسبق لسانهم عقلهم . الفضيلة زينة النفس وجمالها . غلبة الشهوة اعظم انتصار (قال الشاعر :

صاحب الشهوة عبد فاذا   غلب الشهوة صار الملكا)

ما اكثر ضحايا الغضب . الشريف من قبل نعم الله بشكر

واتضاع واحتمل المصائب بصبر وجأش ثابت . الخمر مرآة تعكس افكار المرء واسراره (قال الشاعر :

وللسرّ مني موضع لا يناله نديمٌ ولا يُفضي اليه شراب)

لاغنى الا بالقناعة (القناعة كنز لايفنى)

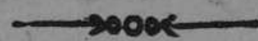
حيثما تكثر الاطباء تكثر المرضى . الكتيبة بقائدها فان جيش ظباء يقوده اسد خير من جيش اسود قائده غزال . الغضب من فنون الجنون (اول الغضب جنون واخره ندم)

الغنى ودليله الحظ اعميان . ليس الغنى بوفرة الاملاك بل بحسن التدبير . البطالة ام الرذائل والشرور . الجبان خائن للوطن . نقط الماء تحفر الصخر (الحبل مع التكرار يقطع خرزة البئر)

الرأي افضل من القوة (قال الشاعر

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو اول وهي المحل الثاني)

دمشق عبدالله الياس كساب



حكمة سليمان

حكي ان تاجراً غريباً مرّ باورشليم في ايام سليمان الحكيم وبات فيها ليلةً واحدة وفي الصباح دعا خادمه وقال له — اذهب واشترِ لنا بيضاً لنا كل . فاسرع الخادم واشترى عشر بيضات ولكي

لا يوقد ناراً خصوصية لاجلها طلب من البائعة ان تسلقها له فقالت — عندي هنا بيض مسلوق فتفضل وخذ منه حاجتك · فاخذ الخادم عشر بيضات مسلوقة ووضعها بسرعة في سلة وكرَّ راجعاً الى سيده · ولما اكلا حمّلا متاعهما وسافرا · و بعد مضي الاسبوع الاول لخروجهما من اورشليم نزلا في قرية ايرتاحا وعند ذلك تذكر الخادم انه لم يدفع للبائعة في اورشليم عشر نحاسات ثمن العشر بيضات التي ابتاعها وتأسف جداً غير ان سيده قال له — لا نقدر الان ان نصلح غلطنا ولات ساعة مندم فاحفظ هذه العشر نحاسات على حدة وعند رجوعنا نسلمها للبائعة مع فائضها · ثم واصلا سيرهما حتى اذا انتهيا الى مدينة آهلة بالسكان باشرا تجارتهما فيها واشتغلا ايضاً بالعشر نحاسات على حدة الى ان بلغت في بضع سنين الف غرش · وكان التاجر في هذه المدة قد أصبح غنياً جداً فجمع متاعه وامواله وقفل راجعاً الى وطنه وبحال وصوله الى اورشليم امر خادمه بوفاء المرأة حقها فاسرع الخادم و بحث عنها وسلمها العشر نحاسات وكانت قد نسيتها ونقدها ربحها الالف غرش مؤكداً لها بان العشر نحاسات لم تربح سوى هذا المبلغ فسُرّت البائعة واخذت الدراهم بالشكر الجزيل وعاد الخادم الى سيده · وما كاد يخرج من بيت البائعة حتى اجتمع جيرانها وسألوها — مَن هذا الرجل ولماذا اعطاكِ نقوداً ؟ فقالت — انه من مضي كذا سنوات جاءَ اليَّ فاشترى

عشر بيضات بعشر نحاسات ونسي ان يدفع لي الثمن ولكنه تاجر بها في هذه المدة فربحت الف غرش وها هو قد احضرها الي فليوفقه الرب . فصرخ جميع الجيران قائلين — يالكِ من غبية . ألا تعلمين ان من العشر بيضات يخرج عشر دجاجات وكل دجاجة تنقف خمسة عشر فرخاً وكل فرخ بعد ان يتحول الى دجاجة ينقف ايضاً خمسة عشر فرخاً بحيث يجتمع لديكِ بعد مرور هذه السنوات مبلغ من اثمان ما تبيعينه من الدجاج اكثر من الالف غرش بكثير ؟ فصدَّقت البائعة اقوال الجيران وذهبت الى التاجر وقالت له — ان ربح العشر نحاسات التي بقيت معك عدة سنين اكثر مما اعطيتنيه بكثير فتكرَّم بدفع الباقي . فأقسم لها التاجر انهُ لم يربح من العشر نحاسات اكثر من الف غرش ثم صرفها دون ان يعطيها شيئاً آخر . اما هي فلما لم تقنع بكلامه انطلقت الى الحاكم فشكت التاجر وذكرت اقوال الجيران . فتأمل الحاكم ملياً في هذه القضية فرأى بعد اعمال الفكرة ان التاجر مكلَّف بدفع عدة ملايين للمرأة وهكذا حكم . غير ان التاجر احال هذا الحكم الى محكمة أَعلى ومنها الى أعلى ومع هذا كان كلما أُحيلت الدعوى يزداد المبلغ عليه . واخيراً اخذ الحكام جميع ما يملكه التاجر من مال ومتاع وسلموه للبائعة ولم يكن كل ذلك ليفي الا جزءاً يسيراً من المطلوب لها . فحزن التاجر وتمنى ان يصير خادماً لئلا يموت جوعاً

ثم بكي بمرارة وقال — كل شيء من الله فاذا كنت قد فرحت بما اعطانيه من السعادة افلا يجب عليَّ ان احتمل التعاسة ؟ وعلاوة على هذا فانا موقن بان الحق يعلو ولا يعلى عليه كما قرأت يوماً في كتاب داود ابي سليمان

وهنا تذكر التاجر حكمة سليمان بن داود فقال — لم يبق لي الا ان اقرع باب سليمان بعدان القي همي على الرب عارف الحقيقة . قال هذا وتوجه تواً الى الملك سليمان وقص عليه قصته المحزنة . فامره ان يوافيه في الغد ليسمع الجواب . وعند المساء حسب سليمان فنتج عنده مبلغ اكثر مما نتج عند بقية الحكام بكثير . ولما جاء التاجر في الصباح دعاه الى مخدعه واجلسه الى جانبه ثم اخذ رقعة وعملا معاً صورة الحساب ولم يغفلا عن ان يسقطا عدد الفراخ التي فرضا موتها وعدد البيض الذي يمكن ان يفقد او يتلف ومع ذلك وُجد ان التاجر يُطالَب ايضاً بقيمة كبيرة غير التي دفعها . فالتفت سليمان اليه وقال — انت ترى يا بني حرج موقفك فاي جواب تعطي لو جُعلت في مكاني منصفاً ؟ فلم ينبس التاجر ببنت شفة . واما سليمان فجعل يخطر في الغرفة ذهاباً واياباً وهو يفتكر واخيراً وقف وسأل التاجر — هل البيضات التي اشتريتها من البائعة كانت مشوية ام نيئة ؟ فاجاب التاجر بصوت منخفض — لا بل مشوية يامولاي . فقال سليمان انصرف الان الى شأنك وبعد قليل عد الى هنا لتسمع الجواب

الاخير . وما ابطأ الملك بعد ذهاب التاجر ان امر بعض حراسه باستدعاء جميع الحكام والمشهورين من رجال العاصمة فحضروا وحضر معهم ايضاً جمهور غفير من السكان حتى غصت بهم ساحة القصر ومن الجملة حضرت ايضاً البائعة في مركبتها الفاخرة واتى التاجر المسكين مطأطئاً . ثم اقبل سليمان تحف به المهابة والجلال فالتفت الى الشعب بوجه باش وقال — طالما سمعتكم تشكون عدم الخصب في المزروعات وهذه المسألة شغلتني كثيراً الى ان تمكنت في هذين اليومين من الوقوف عَلَى الحقيقة وايقنت ان سبب القحط هو لانكم تزرعون الحبوب نيئة وعليه فآمركم الان ان تسلقوا الحبوب قبل زرعها ومن منكم يخالف امري هذا فيزرع ولو حبة واحدة نيئة يتعرض لعقاب هائل . فذهل جميع السامعين ولم يفهموا قصد الملك و بعد ان تبادلوا الافكار فيما بينهم اقروا عَلَى ان يتقدم اعظمهم وجاهة فيسأَل الملك بلسان العموم تغيير امره لان الحبوب لا يمكن زرعها مسلوقة . ولما عرض ذلك عَلَى الملك نظر الى الجميع وخاطبهم قائلاً — اني ابي طلبكم بعد ان تجيبوني على هذا السوءال : كيف اثمرت البيضات التي باعتها هذه المرأة لهذا الرجل ؟ اي كيف خرج من البيض المسلوق فراخ وهذه الفراخ كبرت وتكاثر نسلها حتى صار ما بيع منها مبلغاً عظيماً ؟ واذ سمع الجمهور هذا الكلام صرخوا بصوت واحد : لا يمكن ان تخرج فراخ من البيضات

المسلوقة

وكان قصد سليمان حينئذٍ ان يحكم الشعب ذاته بين المرأة والتاجر . فلما سمع هذا الجواب وجه خطابه الى الحكام قائلاً — استناداً الى اي دليل أجزتم تسليم متاع هذا التاجر لهذه البائعة ؟ فاعترف الجميع بخطإِهم . وحينئذٍ امرهم سليمان ان يرجعوا الى التاجر ما اخذوه و يعطوا البائعة حقها فقط اي عشر نحاسات مع فائضها القانوني الذي بلغ عشرين نحاسة لا غير وخرج بعد ذلك الجميع وهم يطرئون حكمة سليمان ويدعون له . وهكذا تم ما قيل كل شيءٍ يفقد عدا الحق (عن الروسية) ابرهيم جابر

ارب الفؤاد

يا قلب مالي اراك اليوم في لهبِ تبري الضلوع كبري النار للحطب
هل يا ترى حادث قد جاء بالحرب ما كنت أُعهده من سالف الحقب
ام هل دهتك خطوب البؤس والكربِ ؟؟
قد ضقت ذرعاً وصبري لم يعُد بيدي من هول ما راعني من حالة الكبد
طال انتظاري نأى رشدي وهى جَلَدي
قد بتُّ في قلق من باعث الكمد
يا قلب خبّر لما تخفي ولم تجبِ ؟

ان كنتُ في ملالٍ او كنتَ في حصرِ
او كنت في وجلٍ او كنت في كدر
فقل ولا تبقي حيران في خطر الله الله ليس الخبر كالخبر
ماذا اصابك ياقلبي من النوبِ ؟
ان ضاق حجم بلادي عن مكانته ليرتحل حيثما يحظى براحته
هذا اذا كان يرضى ترك حالته ولينبذِ الحزنَ ظهرياً لساعته
فقال حاشا وكلا ليس ذا طلبي
فقلت تبغي اذاً حيث القنا قرعت حيث الاسنةُ والاسياف قد لمعت
حيث السوابغ للاجسام مانفعت حيث المنية للانفاس قد قطعت
وارتجت الارض بالاهوال واللجب
حيث الروءوس علاها الصارمُ الذكرُ
حيث الجيوش عليها البين ينتشرُ
حيث المئاتُ مع الآلاف تندثرُ
تأتي الوحوشُ فلا يبقى لها أثرُ
فقال ما بغيتي هـذا ولا أربي
فقلت ياقلب ما ألقاك في الألمِ هل انتَ تهوى سعاداً فتنة الامم
حتى غدوتَ تراعي النجم في الظلم لم تغمض العين من وجدٍ ولم تنم
ودمعها سائل والقلب في وَجب
ان كان حبٌّ سعادٍ جالبٌ ألما فدعه عنك فجسمي قد قضى سأما

لانها قد غدت لا تحفظ الذمما فلا تكن مثل غمرٍ يعبدُ الصنما
فقال ما أجب القاني بذا العطب

فقلت علك يا قلبي الشجي مائل لزخرفٍ في الدنا ما تحته طائل
فقل كلاَّ فهذا كله زائل وليس يبقى سوى من عفوه شامل
اعني الاله مليك الكون والحقب

فقلتُ لاشك عندي تبتغي الدينا اذ بات باباً لحبِّ الحق يهدينا
أصبتَ حيث به نلقى امانينا ان الاطاعة للديَّانِ تنجينا
من حرٍّ ذات وقودٍ زائد اللهب

فقال هيَّا الى حيث المقام صفا واترك زخارف ذي الدنيا فلا أسفا
دعها ودع من عليها دمعه وَكَفا واطلب من الله عفواً شاملاً وَكَفى
فان رحمة ربي غاية الارب

طرابلس حنا قصاص

انا صغيرة وجميلة ٠٠٠

رويدك ايها الشاب العازم عَلَى الزواج وتبصر في الامر ملياً فانت في موقف حرج ٠ اصغ اني اسمع صوتاً رقيقاً خارجاً من عالم الجنس اللطيف وقد رن صداه في المعمور وهو ينادي (انا صغيرة وجميلة ولكن الورد سيزول عن وجنتي يوماً فهل تحبني في خريف حياتي كما تحبني في ربيعها ؟) ٠ ها قلبك يزداد خفوقاً وعلامات الاضطراب بادية عَلَى محياك ٠ ولا عجب في ذلك فان هذا النداء المؤثر يريك

صعوبة المسلك الذي ستلجه وان الزواج ان لم يكن اساسه المودة التامة تنفصم عرى السعادة ويحل في اثرها الشقاء والبلاء وقد قال الشاعر:

الموت افضل من حياة مرة ٍ تقضى لياليها كقضم الجلمد

انت تحسب ان السعادة تتجلى لك بالزواج فانت مصيب اذا عرفت السبيل لنيل السعادة · فاطرق باب الحب الحقيقي واجعله رباطك بمن ستتخذها شريكة في الحياة وليكن هذا الرباط متيناً اي حباً نقياً خالياً من الشوائب فيبسم لك الدهر وتدخل في طور جديد لا تعرف فيه للحزن باباً ولا للشقاء سبيلاً · وان جعلت غرضك من الزواج زيادة ثروتك ونفوذك واخذت فتاة طمعاً بمالها او جاه ذويها فهناك البلاء المقيم والويل الجسيم · وما لذة المال الذي يسبب نغص العيش · فان كثيرين يفضلون عيشة الفقر لانها اقرب الى السعادة من الغنى · وعلى الفتاة ان تتأكد محبة من يقدم لاخذ يدها فان كان مطمحه المال فخير لها العزوبة على قبول عهده · سألت فتاة خطيبها ما السبيل لجعلك سعيداً ? فاجابها — اسألي والدك ان يزيد مهرك اذ بزيادته يزداد سروري وسعادتي · فلو ادرك هذا الشاب سر السعادة لطلب قلباً ملؤه الحب · ولعمري كم فتاة من الاديبات الفاضلات لم يكترث شبان عصرنا بها وما ذنبهن الا الفقر · فلا يغب عن ذهنكم ايها الشبان انكم تميتون الادب بتفضيل الغنى عليه · فقد اصبحت الفتاة مهملة آدابها ما زالت غنية لتيقنها بان غناها انما هو قبلة

الخطاب والمتدلهين . وهل هذا ما اوصلنا اليه التمدن ؟ فان كان التمدن هذه ثماره فسلام عَلَى الهمجية والف تحية . اني اسمعك ايها المقدم على الزواج تجيب عَلَى السوال الموجه اليك من الجنس اللطيف قائلاً — «انتِ جميلة في ربيع حياتك وفي خريفها وحبي لكِ في دور الشبيبة لا يتغير في دور الكهولة والشيخوخة بل سيزداد متى زالت نضارة الشباب واقبل خريف الحياة لانك تحتاجين الى محبتي واهتمامي في ابان عجزك اكثر منهما ايام شبابكِ» ولا جرم ان بنيك يزداد اعتبارهم لك ايها الرجل السالك في هذا المبدأ الجليل وترتفع منزلتك في اعينهم والولد يشب عَلَى ما كان والده . فان كنت وزوجتك في حب ووئام علمت بنيك افضل امثولة اذ يشبون نظيركما في وفاق واتحاد . هذه خطرات افكار عساها تحوز القبول لدى شباننا وشاباتنا هدانا الله جميعاً السواء السبيل

حبيب اسكندر جمال

غرابة الاحلام

في احدى الليالي بينا كانت البروق تلمع والرعود تقصف والرياح تهب بشدة والامطار تهطل بغزارة دخل المدعي العمومي (برار) الى فندق قريب من احد الاحراش وقد اعياه التعب واضنكه الجوع فجلس عَلَى كرسي هناك ليرتاح من وعكة الاسفار ولم يكن في الفندق حينئذ سوى صاحبه وامراته فرحبا به وقدما له اكلاً وكاساً من الخمر المعتق ثم ادخلاه الى غرفة فوق الاصطبل فيها

تخت وكرسي ومائدة فخلع برار ثيابه واغلق الباب ووضع المائدة وراءه ونام نوماً هنيئاً وفي منتصف الليل سمع حركة في الباب فاستيقظ مذعوراً وهب من فراشه وصرخ من هذا فلم يجبه سوى تردد الصدى في الغرفة فاجال نظره في الباب فلم يجد ما يريبه واخيراً استغرق في النوم فرأى في منامه كأنّ شخصاً غريباً نائماً على تخته في هذه الغرفة ولما تناصف الليل دخل عليه صاحب الفندق وبيده خنجر يقطر الموت من حده وطعن به النائم في صدره طعنة كانت القاضية ثم جاءت زوجته وبيدها مصباح ناولته لزوجها فحمله باسنانه من الحلقة المربوطة فيه واخيراً حملا القتيل — المرأة من رجليه والرجل من راسه — وانزلاه على السلم ودفناه في الاصطبل. فاستيقظ برار مذعوراً من هذا الحلم غير انه شكر صاحب الفندق وامراته ودفع لهما قطعة من النقود ومضى ونسي هذا الحلم مع توالي الايام فلم يعد له اثر في ذاكرته. وبعد ثلاث سنوات اعلنت الجرائد الافرنسية ان احد الاغنياء فُقد في ذلك الاسبوع ولم يُعرف من امره سوى انه ذهب للتنزه في حرش بقرب الفندق (الذي بات فيه المدعي العمومي منذ ثلاث سنوات) فلما قرأ برار هذا الخبر تذكر الحلم الذي رآه هناك واسرع الى الفندق فألقى نظراً حاداً على المراة وقد عرفها حالما رآها (حسبما تراءت له في الحلم) ثم قال لها: اتظنان اني لم اركما ايها الخبيثان عندما قتلتماه وقد اهوى

عليه زوجك الشرير بالخنجر في صدره ثم صعدت انت على السلم ويدك المصباح الذي اعطيته الى زوجك فحمله الاثيم باسنانه وانزلتما القتيل على السلم وقد حملته انت وزوجك من رجليه ودفنتماه في الاصطبل ؟ ولا يقدر القلم ان يصف الخوف الذى استولى على المرأة عند سماعها هذا الكلام فسقطت على الارض وهي ترتجف وقالت بصوت الياس قد رآنا قد رآنا وعرف كل ما عملناه . وللحال ألقي القبض عليهما وزجا في السجن جزاء ما جنت ايديهما وفتش الجند الفندق فوجدوا جثة القتيل في الاصطبل ووجدوا ايضاً عظاماً كثيرة تدل على ان الرجل وامرأته كانا يقتلان الضيوف ليلاً ويدفنانهم في الاصطبل

ومما ذكر ايضاً من هذا القبيل ان سفينة انكليزية كانت راسية في احد المرافئ وهي على اهبة السفر في الصباح التالي . فحلم احد نوتيتها (كايشر) في تلك الليلة ان الباخرة ارتطمت بصخر وابتلعت الامواج كايشر واحد رفاقه . فافاق كايشر مذعوراً متشائماً . وكان في اليوم التالي انه أُمر ان يركب قارب الباخرة وينزل الى البر مع نوتي آخر وكان الجو صافياً والافق رائقاً بهيجاً . وبعد ان فرغ من مهمته ركب القارب عائداً الى الباخرة . فهبت ريح شديدة وهاجت الامواج فقلبت القارب وابتلعت كايشر ورفيقه . . .

(عن الروسية) عبد الكريم سمعان

شقاء الملوك

قال — فقد خُدع اذاً داود بخاتم يشبه خاتمك او مقلّد له ٠ وعلى كلٍّ فاذا كان داود قد باح لهذا الجاسوس بجميع اسرارنا فعلى رأسهِ فقط ينقلب الشر ٠ وسنعرف كيف نتبرّأ منه كما عرفنا كيف نصادقه ٠ اما الان فعده برتبة سنيّة وبزيادة في راتبه وادفع لهُ مكافأة جزيلة وهو يخدمنا بكل قوى دهائه ومهارته ٠ وماذا أخبرك عن الجاسوس ؟

قال — أَخبرني انه سافر الى موسكو

قال — هذا غير صحيح والذي يتراءى لي ان هذا الجاسوس لا يزال مقيماً في العاصمة ٠ فسأستدعي برنغوف زعيم الشرطة وآمره بالبحث عنه والقاء القبض عليه ٠ ولكن يجب اولاً ان نأخذ من داود اوصافه الخارجية ليتمكن زعيم الشرطة من معرفته

قال — وقد قال الجاسوس لداود ان الملك مطّلع على سائر تدابير شركتنا المالية وربما علم انك أَلفت لجنةً للقيام بصب المدافع وتجهيز الاسلحة وغير ذلك من المهام والمعدات اللازمة للحرب المقبلة

فأطرق كارلوس حيناً ثم رفع رأسه وقال — لم يظهر لي الملك شيئاً مما تقول ٠ فقد كنت اليوم عنده وحادثته ملياً في شؤون مختلفة فلم يكشف لي الاَّ عزمه عَلَى الاعتراض على قرار مجلس الوزراء

بخصوص الحرب

قال — وهل حادثته في قضية الجزويت ؟

قال — نعم ولكنه ابى تنفيذ مطالبهم

قال — واي مغنم لنا في مساعدة هولاء الجزويت ؟

قال — لابد من مساعدتهم لانهم قوة جسيمة تنفعنا عند الحاجة فهم يدفعون الان لداود الف ليرة سنوياً ليذيع في جرائده كل لطيفة عنهم ولا سيما فيما يتعلق بالمدارس والكنائس والحفلات الدينية وما شابهها. وهم يعضدون سياستنا لدى الفاتيكان وقد يزّينون للبابا منافع الحرب المستقبلة ويعددون له مآثرنا واجراءاتنا الخطيرة

قال — لاارى من نفسي ميلاً الى الاعتماد علَى حسن المستقبل. ويلوح لي ان النتيجة ستكون وخيمة علينا وهذا يقلقني كثيراً لاني كما تعلم ذو عيال ولا اريد ان يرث ابنائي عاراً وسبةً. بل اريد ان يبقى اسمي مشرّفاً تفتخر به اسرتي علَى مدى الزمان

فضحك كارلوس وقال — ومن يهتم اليوم باسلافه او يتذكرهم بشيء من المحامد فهذه أُسر روبسپير وباتخوفين واللورد بيرون وغيرهم من عظماء التاريخ فقد ماتوا ولا يكاد ذووهم يتذكرونهم بشيء وقد مات شكسبير وهو مسرور لان ليس لهُ عقب. فهذه اوهام يا حضرة المركيز لا يجدر بالعاقل ان يعيرها شيئاً من الاهمية

قال — اليوم الجمعة فسأجمع الوزراء للمباحثة نهار الاثنين

قال — حسناً تفعل واياك ان تفكر الان بالاستعفاء لانه يزيد الحال خطراً وخصوصاً لاني غير مستعد ان اشغل مركزك . ولما كنتُ متأكداً نيل الاماني فلا اريد ان افوز بالنجاح وحدي فانت شريكي و يجب ان تقاسمني مجد الشهرة

ثم نهض المركيز فودع صديقه وخرج وهو مبلبل الافكار مضطرب الحواس . وبادر كارلوس فاستدعى بواسطة التلفون الجنرال برنغوف وهو زعيم الشرطة واخبره بانه اكتشف في العاصمة وجود جاسوس اجنبي اسمه باكن لروا

فلما سمع برنغوف هذا الاسم تبسم تبسماً خفيفاً . فقال كارلوس — هل تعرفه ايها الجنرال ؟

قال — سمعتُ بهذا الاسم

قال — ان هذا الرجل مقيم الان في العاصمة فيجب ان تلقي عليه القبض لانه جاسوس اجنبي وقد رُوءي يأخذ رسم القلاع والحصون واذا اردت سل عنه المستر داود يوست وهو يطلعك على اوصافه

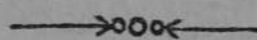
قال — اذا توفقت الى ذلك فلا أحجم عن ايجاده

قال — واني اثني عليك ايها الجنرال ثناءً طيباً لانك قائم بوظيفتك بمنتهى التيقظ والانتباه

فانحنى برنغوف قليلاً وخرج وهو يقول في نفسه « وهل يلزم

ان اسال داود عن باكن لروا ؟ لا . لا يلزم . بل الافضل ان اسأل باكن نفسه عن نفسه . . . مسكين انت ياكارلوس بيروس لانك تزعم ان باكن هو جاسوس اجنبي . . نعم انه جاسوس ولكنه ليس باجنبي

وظل برنغوف مواصلاً سيره حتى بلغ القصر فدخله وصعد السلم المؤدية الى مخادع الملك



الفصل التاسع والثلاثون

﴿ حبيبة الشعب ﴾

كان في عاصمة المملكة التي نروي عنها هذه الاخبار شخصان اشتهرا بالخطابة والتأثير العمومي في الامة فضلاً عما اشتهرا به من حسن الصفات ومحبة الناس وعمل الخير والاحسان ومساعدة البائسين واغاثة الملهوف وسائر الصفات الشريفة والاخلاق الكريمة حتى لم يكن بين العامة من لم يحترمهما ويدعُ لهما بطول البقاء والخير وهما سرج طورد ولوطيس . اما سرج فكان زعيم حزب الاشتراكيين في العاصمة . واما لوطيس فكانت رفيقته في هذه الزعامة بل كانت روح الاشتراكيين تقيمهم وتقعدهم بكلمة او باشارة منها . ولم يكن لاحد من سكان العاصمة يعرف عن هذه الفتاة شيئاً سوى بعض اخبار كان يتناقلها الناس دون الوثوق بصحتها فكانوا يقولون مثلاً انها ابنة غير شرعية لاحد الملوك او الامراء وقد وُجدت مطروحة في احد الاماكن

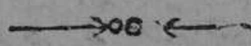
وكادت تموت من الجوع والبرد لو لم يرَها في تلك الحالة سرج طورد فيشفق عليها ويأخذها ويعتني بتربيتها . ولما كبرت هذه الفتاة لم تشأ ان ترتبط بعهد مع احد بل آلت عَلَى نفسها ان تكون في جملة الاشتراكيين فتخدم الامة بطلاقة لسانها وقوة جنانها . ولعلها كانت تعرف انها من اصل شريف غير انها أَبت ان تبوح لاحد بشيء من هذا . وما كانت الايام الّا لتزيدها نفوراً من كل عظمة وبغضاً لكل سلطة . وكانت لا تفتأُ من الاهتمام باحوال الناس ومصائبهم وويلاتهم فكانت بلسم الحزانى وتعزية الفقراء وكان عموم الشعب يحبونها بل يعبدونها ويعتبرونها الاهة هبطت عليهم من السماء لتخفيف احزانهم وتجفيف دموعهم . اما ذوو السلطة والسيادة ورجال الدين ومحتكرو الاموال فكانوا يكرهونها كراهةً شديدة ويتعدون لدى ذكر اسمها

وفي اليوم التالي من المقابلات التي جرت بين الملك والمركيز وبين هذا وكارلوس بيروس شاع في كل جهات العاصمة ان لوطيس ستخطب مساءً في « ندوة الاجتماعات الشعبية » . ولما كان المساء غصت فسحة الندوة المذكورة بالالوف من الناس على اختلاف الطبقات والمهن وكان بينهم جميع اعضاء الجمعية الاشتراكية وكانوا قد حضروا واحداً واحداً وجلسوا في اماكن مختلفة وقد حضر ايضاً باكن لروا ورفيقاه ماكس واكسيل وجلس الثلاثة في موضع واحد

بالقرب من سرج طورد فكانوا يرونه ويراهم . وكان ايضاً بين تلك الجماهير رجال الشرطة وزعيمهم الجنرال برنغوف وقد جلس بالقرب من باكن بحيث ارتاب سرج بهوظن انه يسعى في اقتفاء آثاره ومراقبته

اما باكن لروا فكان جالساً في مكانه وعيناه تتنقلان بين تلك الجماهير المحتشدة ثم التفت الى رفيقه ماكس وقال همساً — انظر الى هذه الالوف الموجودة هنا فكلها مقيدة باشارة واحدة من لوطيس فلو قالت لهم احرقوا القصر لحرقوه في الحال ولو قالت لهم اقتلوا كارلوس او لوتيرا لمزقوهما واطعموا الكلاب لحومهما . فلوطيس قوة غريبة وهي نادرة المثال

وما كاد يفرغ من كلامهِ حتى وقفت لوطيس في موقف الخطابة فهتفت لها تلك الالوف هتافاً شديداً ودوى في كل مكان تصفيق الايدي . فحنت لوطيس رأسها واشارت بيدها فصمت الجمع وساد السكوت



الفصل الاربعون

﴿ خطاب لوطيس ﴾

فقالت لوطيس : كلنا نعلم ان وزراءنا لا يراعون حرمة البلاد ولا يهتمون بخير الامة . والصحافة ضعيفة جبانة مقيدة بخدمة بعض ذوي السلطة

والنفوذ الذين جعلوا اكثر جرائد العاصمة قيد اشارتهم بما يدفعونه لاصحابها من الاموال فاذا قرأتم في تلك الجرائد شيئاً من الاخبار فلا تصدّقوه بل تعوّدوا ان تفتكروا كثيراً وتعتمدوا علَى انفسكم فقط . ولو كان الحكم في يد رجل حكيم قادر لرأيناه متصدّياً لكل ضروب الخداع والرشوة مقاوماً للظلم والجور باحثاً عن المنافقين والاشرار لقمع شوكتهم واستئصال جرثومة فسادهم . ولكن الحالة عندنا بعكس ما نريد وحيث لا قوة فهناك الضعف ومتى كان الحاكم ضعيفاً اختلّت سائر الاحكام وتطرّق الفساد الى كل شأن من شؤون العباد كما نرى الان . فالامة تئن تحت اثقال الضرائب الفادحة والمنافقون يسومونها كل انواع الظلم والخسف ويقودونها الى دركات المذلة والهوان . فلا جرم اذا شعرت الامة بهذه المظالم ونهضت نهضة الرجل الواحد لتطالب بحقوقها وتدفع عنها وعن البلاد هذه الشرور والمفاسد

ثم سكتت لوطيس قليلاً واجالت نظرها في الحضور فرأتهم مصغين اليها كأن علَى رؤوسهم الطير . فتنفست واستتلت قائلة: يا اصدقائي الاعزاء انتم تعساء وبؤساء تقضون حياتكم بالنكد والشقاء . والقلاقل والاضطرابات تحيط بكم من كل جانب وتمزقكم كل ممزّق وانتم لا تعلمون لنفوسكم قيمة وليس لكم رجاء . فهل زال الهناء من العالم ؟ وهل اظلمت الشمس وصمتت الطيور عن

تغريدها ؟ كلا ايها الناس . فالعلوم تتقدم والمعارف البشرية تزيد انتشاراً والاكتشافات تتوالى كل يوم وكلها وقف على خدمة البشر وليس من شأنها الا ان تزيد الانسان بهجة وهناء وتطيل عمره وتجعله سعيداً . واذا كان الامر كذلك فما بالنا نحن بعيدين عن السعادة ؟ ماذا فقدنا وماذا ينقصنا ؟ لماذا نجهل قيمة انفسنا ونرضى بهذه الظلمة الحالكة وبهذه الجهالة الشنيعة ؟ هل نحن فقراء ؟ ولكن الفقر لا يسبب تعساً وشقاء . فكم من فقير سعيد بحاله راض عن دنياه . . . فليس الفقر اذاً هو الذي اضناكم وانهك قواكم وانما هناك علل أُخر هي اسباب كل محنة وبوءس . هي الضرائب الشديدة التي سنتها عليكم ايدي الظلم والمطامع لتضغط عليكم وتعصركم عصراً . مع انكم تقدرون ان تتحدوا وتهبوا يداً واحدة وقلباً واحداً لتناهضوا كل قوة موجهة عليكم . انتم لستم وحوشاً برية او حيوانات داجنة منقادة للانسان الضعيف وهو يستخدمها كيفما شاء وهي خاضعة له خضوعاً اعمى ايها الناس لو عرف الثور قوته لما سار خاضعاً الى المسلخ فلستم انتم ثيراناً ولكنكم تشبهون الثيران بصبرها وغباوتها وعماها وعدم ادراكها . انتم توءلفون الجمعيات والمعاهدات ولكنكم تضعضعون قواكم بالمخاصمات الطفيفة والمنازعات الاهلية فتتفرَّق قوتكم وينتهز خصومكم مثل هذا الفرص فينقضون عليكم انقضاض البواشق ويأكلون لحومكم ويمتصون دماءكم . واليكم

مثلاً الجزويت فانتم لا تحبونهم بل تكرهونهم وتقاومونهم ولكنهم مع هذا اقويا اشداء · وسبب ذلك هو انهم من الكبير الى الصغير يرعون قوانين جمعيتهم ويقفون متحدين متضامين تجاه كل عاصفة لان سر القوة في الاتحاد · فقد طردوهم من عدة بلاد ولكن كانوا حالاً يظهرون في غيرها ويرسلون عروقهم فيها · فالبابا اكليمنضوس الرابع عشر لاشى جمعيتهم سنة ١٧٧٣ فانصرفوا الى روسيا · ولما تفاقم شرهم فيها طردوا منها سنة ١٨٢٠ ثم طردوا من هولندا سنة ١٨١٦ ومن سويسرا سنة ١٨٤٧ ومن جرمانيا سنة ١٨٧٢ واخيراً من فرنسا · فهم يطردون من كل مكان ولكنهم مع هذا اشداء اغنياء لهم اثنان وعشرون جنرالاً واربعة اساقفة وكلهم يقبضون الرواتب الجزيلة · وقد عرف العالم باسره ان هذه الجمعية هي ضرر محض ولكنها بقيت قوية ثابتة بفضل اتحاد اعضائها وتماسكهم

ايها الناس ان المفاسد والمظالم تضغط عليكم كثيراً وتذيقكم من السموم ما يجعل الحياة كلها عذاباً ومصاباً حتى ان كثيرين منكم يتضجرون ويقولون ألمثل هذا خلق الله الانسان؟ كلا يا اعزائي ان الله لم يجعل حياتكم مثقلة بهذه الهموم والمصائب بل انتم انفسكم · انتم جعلتم غيركم يدوسونكم بارجلهم · انتم لا تريدون الحرية المطلقة بل تريدون ان تكونوا ارقاء اذلاء مقيدين باوامر الغير · فافتكروا واحكموا بانفسكم ولانفسكم · فاذا كانت الجرائد خائنة فلا تقرأوها ولا تسمعوها · اذا

شعرتم بان احد ذوي النفوذ مستبدٌ باموالكم وقد قيَّدكم باشد بقيود دهائه ومكره فاكسروا تلك القيود وقاوموه باشد العنف. اذا رأيتم احد المتسلطين خائناً لبلاده فارفضوه واخلعوه. تعودوا ان لا تثقوا باحد ثقة عمياء دون الاختبار الطويل والبحث الكثير. لا تثقوا بالملوك ولا بالوزراء ولا برجال الدين ولا بمجالس الامة لان يد الانسان قد دنَّست كل شيء. بل ثقوا بانفسكم وكونوا رجالاً حكماء. اطلبوا ان لا تُسلَّم الادارة في سائر دوائر المملكة الاَّ للايدي النظيفة. اطلبوا ان تُكشف لكم اسرار السياسة وكيف تُنفق اموالكم. اطلبوا من الحكومة ان تنظر اولاً في احوالكم الداخلية ولا تصرف الوقت جزافاً في امور تافهة ليس لكم منها اقلّ فائدة . واذا رأيتم ان الوزراء لا يبالون بكم ولا يريدون ان يسمعوا اصواتكم فاتحدوا وقاوموهم واجعلوهم قيد اشارتكم لان شرف الشعب يجب ان يكون فوق كل سلطة وعرش

ايها الناس جاهدوا في سبيل الحق والعدل جهاداً مجيداً. صافحوا بعضكم البعض مصافحة الاخاء والاتحاد. لا تحنوا هامكم للظلم والاستبداد ولا تكونوا العوبة في ايدي الخائنين الفجّار . جاهدوا في سبيل حقوقكم الانسانية وكونوا امَّة عزيزة الشان محترمة الجانب. واذا رأت الحكومة اتحادكم وقوتكم فحينئذٍ تخضع لكم. لان سلطة الشعب اقوى من كل سلطة وصوت الشعب اقوى من

قصف الرعود ودويّ المدافع ..

ولما فرغت لوطيس من خطابها نزلت عن المنبر والناس يهتفون لها ويصفقون ثم شرعوا يخرجون و يتفرقون كلّ الى قراره وعلى وجوههم لوائح البشر والغبطة وهم يردّدون اسم لوطيس المحبوبة وقد شعروا جميعاً بان قوة جديدة دبَّت في قلوبهم

وكان باكن لروا جالساً في مكانه شاخصاً الى لوطيس معجباً بقوة حجتها وثبات جنانها لا يكاد يتحرك حتى لا تفوته كلمة من كلامها . فلما فرغت تنفس طويلاً وهمس الى رفيقه ماكس قائلاً «ان هذه الفتاة عظيمة في نفسها وليس لاحد من بنات جنسها ان ينازعها تاج المجد وصولجان القوة» .. وانه لكذلك اذ دنا منه جان سيغوتا احد اعضاء الجمعية الاشتراكية فحيَّاه بالاشارة المتَّفق عليها وقال له همساً — قد اعددنا مأدبة اكراماً للوطيس في احد منازل اصحابنا وقد اوفدني سرج اليكم لابلغكم ذلك حتى اذا اردتم الاشتراك معنا دللتكم على المكان . فاجابه باكن — بكل سرور نقبل الدعوة فهيا بنا

ثم سار جان وتبعه باكن ورفيقاه على بعد بضع خطوات وفيما هم سائرون صادفهم زعيم الشرطة فحنى رأسه امام باكن بكل تحذُّر وسار في طريقه فالظاهر انهما كانا متعارفين او متصادقين لان برنغوف لم يصدع بالاوامر المعطاة له من كارلوس بيروس بشأن القاء القبض على الجاسوس «باكن لروا»

الفصل الحادي والاربعون

﴿في اثناء المأدبة﴾

ولما وصل باكن ورفيقاه الى المنزل الذى دلهم عليه جان دخلوا بعد ان ادّوا العلامة للبواب ثم ولجوا ردهة فسيحة منارة بالمصابيح والشموع وفي وسطها مائدة كبيرة جلست الى راسها لوطيس وعلى راسها اكليل من الغار قدمه لها اصحابها والى جانبها جلست فتاة بسن الحادية عشرة جميلة المنظر نجلاء العينين هي بكيتا الممثلة الصغيرة وكانت لوطيس تطايبها وتمازحها . وكان اكثر اعضاء الجمعية الاشتراكية جالسين الى جانبي المائدة حوالي لوطيس يتحادثون ويتسايرون . فلما دخل باكن ورفيقاه نهض الجميع فاستقبلوهم بغاية الترحاب والبشاشة لانهم كانوا يعتبرون باكن بالنظر الى ما سمعوه من اعماله الخطيرة واجراءاته المفيدة فاتحة وهم قد املوا بوجوده في جمعيتهم نجاحاً كبيراً . ولما دنا باكن من لوطيس حيّاها قائلاً — لي الشرف ان اهنئك يا لوطيس وادعوك ملكة الخطابة واميرة الفصاحة واذ قال هذا ضغط على يدها وكانت لم تزل في يده فارتعشت لوطيس وجذبت يدها بلطف وقالت وانا اهنئك ايضاً بما تمّ على يدك من النجاح وأتمنّى ان تكون جميع اعمالك في سبيل خدمة الشعب مكلّلة بالفوز والظفر . فشكرها باكن وجلس بالقرب منها وهو لا يكاد يرفع نظره عنها . ثم دار الحديث

بين الحضور وهم بين كل فترة واخرى يشربون انخاب بعضهم وعَلَى وجوه الجميع علامات الانشراح والسرور · وكان بول زوش اكثر الجميع شرباً وطرباً فقال لرفاقه — هل سمعتم ايها الاصحاب بانه قد عرض عليَّ في هذا النهار مكافأة مالية عَلَى اشعاري؟

فنظر اليه الجميع مستفهمين · فقال — اني حباً بالمزاح قد ارسلت آخر نبذة من اشعاري الى الملك ...

فقاطعه بعض الحضور بقولهم — وهل بلغت منك الحماقة ان تحنث بيمينك وتسير ضد قانون جمعيتك؟

فقهقه بول ضاحكاً وقال — لاتحكموا عليَّ قبل استيفاء حديثي · فانا لم ارسل تلك النبذة الى الملك عن احترام له بل ارسلتها لمجرد كراهتي لهُ حباً بالانتقام منه لان فيها قصائد كثيرة اشتراكية الموضوع ثوروية المبدأ سيحمرُّ وجهه خجلاً لدى مطالعتها · وقد بعثتُ بذلك اليه منذ بضعة ايام فورد لي اليوم كتاب من كاتم اسرار جلالته الممقوتة مفاده ان الملك قد سُرَّ بهذه التقدمة وانه عين لي مكافأة مالية قدرها مئة ليرة اقبضها كل سنة · اما انا فرفضت ذلك عَلَى الفور لاني لن ابيع حريتي بجميع كنوز الارض

فقال له باكن — فاذاً انت لاتريد هذه المكافأة مع شدة احتياجك للمال

قال — نعم لا اريدها من الملك

فقال سرج — حسناً فعلت والافضل ان تموت جوعاً من ان تقبل صدقةً من الملك

وقالت لوطيس — بورك فيك يا بول لانك برهنت بهذا على انك ذو نفس ابيّة وافكار سامية

فقال باكن لسرج — فاذا انت تستصوب عمل بول برفضه المكافأة

قال — نعم أستصوبه واثني على شهامته ولعلكم تعلمون ان الملوك لم يكونوا يهتمون قبلاً بسلطة القلم فلما قويت هذه السلطة قام اصحابها للاخذ بثارهم وشفاء حزازات صدورهم من الملوك على مقتضى شريعة العين بالعين والسن بالسن

قال — افلا تظن ان الملك قد فعل ذلك الان عن قصد شريف؟

قال — قد يكون هذا. ولكن مكافأة كهذه لرجل متمدن هي دون الطفيف لان جلالة الملك يدفع اضعافها سنوياً لاحقر طهاته

فلما سمع باكن هذا الكلام علت وجهه حمرة لم تلبث ان تبدّدت. وكان سرج قد لاحظ ذلك فدهش ولكنه ظن ان صديقه قد يكون مضطرباً او متهيجاً لامرٍ داخلي فقال له وهو يريد ان يستشف دخائله — اراك مضطرباً ايها الصديق فهل حصل لك ما يوجب ذلك ؟

فتبسم باكن وقال — لا ولكنني علمت ان كارلوس بيروس

قد اصدر اوامره بالقاء القبض على المدعوّ « باكن لروا » لانه زعم اني جاسوس اجنبي جئتُ الى هنا لآخذ رسوم بعض القلاع والحصون

فذهلت لوطيس وقالت — فانتَ اذاً في خطر

قال — كانا معرَّضون للخطر ايتها السيدة . والذي تحققته في هذه الايام ان داود يوست صاحب الجرائد المشهورة في العاصمة هو اشد خطراً على الامة من كارلوس بيروس ولوتيرا وامثالهما المنافقين الاشرار لان جرائده كثيرة الانتشار يقرأها الالوف والملايين من الخلق وهو يملأها على الدوام بالاضاليل والاكاذيب حباً بخدمة مصلحته ومصالح اعوانه الكبار

فقال سرج — ولكن لا تنسَ ايها الرفيق ان داود لا يكتب شيئاً مما يتعلق بالسياسة الحاضرة الاَّ بايعاز كارلوس ولوتيرا

قال — نعم لانهما يدفعان لهُ على ذلك مبالغ طائلة وكما انه الان ماهر في خدمتهما مخلص لهما فسينقلب عليهما اذا رآهما وقعا في الفخ لانه لا يخدم الا المال

فقال احد الحضور — وقد قرأتُ اليوم في احدى جرائده مقالةً عنوانها « المآثر الجزويتيَّة » فلعله اخذ اجرتها مبلغاً كبيراً . وقد جاء فيها ان هولاء الرهبان يسعون السعي الحثيث وراء المنفعة العامَّة فهم يشيدون الكنائس والمدارس وينشئون كثيراً

من معاهد الخير والصلاح لاجل تثقيف العامة واصلاح شأن الامة وانهم لا يرجون من كل ذلك الاَّ الخدمة المحضة للبلاد . وفي ذيل المقالة يقول « ولقد بلغني ان جلالة الملك وعدهم ان يهبهم ارضاً ملوكية ليقيموا فيها ديراً وكنائس »

فقاطعه باكن بقوله — هذا غير ممكن لان الملك قد رفض طلبهم رفضاً باتاً ولن يرجع في قوله

فابتدره سرج متعجباً من احتدامه وتحمسه — وكيف عرفت ذلك ؟

قال — قرأت ذلك من مدة في الجرائد المحلية

قال — ومن يصدق اليوم اقوال الجرائد وهي لا يهمها الا مصالحها الذاتية

قال — نعم ولكن رفض الملك لمطالب الجزويت خبر موثوق به

فقالت لوطيس — اتركوا الان هذه الاخبار والاحاديث ليوم الاجتماع الشهري ودعوا المستر فالدور يشنف مسامعنا بعزفه وغنائه وبكيتا برقصها الفتان

فنهض المدعو فالدور وهو احد رجال الجمعية وتناول كمنجته واخذ يوقّع عليها انغاماً شجية وقامت بكيتا فرقصت بعض ادوار فتنت العقول والابصار . ولما انتهت قُدّم الطعام فأكل الحضور مريئاً ولم يلبثوا طويلاً حتى نهضوا عن المائدة وصاروا يخرجون من المنزل واحداً واحداً